في التاريخ

فـــــؤاد الأول

بقلم المتولى قاسم

المدرس بمدرسة محمد على الملكية للبنات

أهدى إلى نادى دار العلوم هـذا المؤلف التاريخى عن حياة المغفور له الملك فؤاد الأول ، وهو من تأليف الأساتذة : عبد العزيز الأزهرى ، وعلى عبيـد الله سرحان ، ومحمد مجاهد — المدرسين بالمدارس الأميرية — وقد صـدر الكتاب بكلمة مأثورة عن جلالة المترجم له ، عما لدراسة الشعب تاريخ أسلافه وأعمال أبطاله من بالغ الأثر فى شحذ همته وتوجيه عزيمته إلى إدراك المثل الأعلى فى حياته وبعد هذه الدرة الثمينة كلمة الإهداء من المؤلفين إلى صاحب الجلالة الملك فاروق الأول . وهى طاقة شذية من زهرات ندية زفوها فى ولاء وإخلاص إلى ألمع كوكب فى سماء مصر ، وأندر غصن فى الدوحة الحمدية العلوية — وأعقبوها كلمة أخرى فى بيان الغرض الذى حدا بهم إلى تخيّر هـذه الشخصية العظيمة واختصاصها بالبحث والترجمة ، والكشف عن مبلغ الجهد الذي بذلوا متوالياً سبعة عشر شهراً ، يغوصون بين لجج الوثائق والمذكرات والكتب الشرقية والغربية ، حتى جمعوا مواد كتابهم ، ومزجوا عناصرها وألفوا بينها فى نسق جميل ونظام بديع ؛ فجاء الكتاب ناطقاً بمجهودهم شاهداً بفضلهم ، نافعاً أجل النفع لمن يسعده الحظ بالاطلاع عليه

أما الخطة التي انتهجوها لأنفسهم فى وضع الكتاب فهى التقديم لكبريات الحوادث بظروفها وبواعثها ، حتى تستقر فى نفس القارىء واضحة باقية الأثر ، ثم التعقيب عليها بنتائجها البازرة ؛ وربما أصدروا أحكاماً برأيهم فيها فى رفق وهدوء ، والمؤلف المعاصر ذو فضل على غيره فى رواية الحوادث وإبرازها واضحة فى معرض دواعيها وأسبابها ، وهى لا تزال عالقة بالأذهان ، ظاهرة الارتباط

بعضها ببعض ؛ فهم بذلك قدموا للجيل الناشىء ومن بعده مادة خصبة للمعرفة والموازنة والحكم القائم على أساس متين من تحرى الصدق والصواب .

أما أسلوب التأليف فقد التزموا فيه دقة التقسيم والتبويب ، فضموا كل شكل إلى شكله ، وزاوجوا بين الطوائف ، وجعلوا لكل طائفة من بحوثهم عنواناً كبيراً يضم أشتاتها ويؤلف بينها ؛ مع الافاضة التامة حتى ليخيل إلىّ أنهم كانوا يريدون أن يخصوا كل عنوان بكتاب خاص يجمعه بين دفتيه ؛ وكأنى بهم قدّروا لكتابهم حداً يربحون القلم عنده ، فأفلت زمامه من أيديهم مرات ، وذلك لما يمتاز به الكتاب من الخصب فى كل ناحية طرقوها ؛ وفى الكتاب من أجل ذلك وغيره لذة للعقل ولذة للنفس ، وإرضاء لعاطفة الإعجاب بالبطولة وجميل الصفات ، وإشباع للروح الوطنى ، وشحذ للعزائم ؛ حتى إنه ليستأثر بالقارئ ويغريه بالتتبع والاستقصاء ، فلا يشبع نهمه أو يفضى به إلى الختام ؛ وإنى لأشهد لقد قضيت وقتاً سعيداً بين أفيائه ونسائمه أغذى النفس بآيات البطولة وأعجب بروائع الأخلاق العالية ، وألمس دلائل الإخلاص للوطن ، وأشهد مبلغ حدب المليك المغفور له وعطفه على هذا الشعب المصرى الذى كان أكبر أمانيه أن يراه عزيز الجانب مرفوع الرأس بين الدول العظمى ، مساهماً بأوفر نصيب فى التقدم الإنسانى العالمى

أما الأسلوب الكتابى الفنى فيمتاز بالسهولة والروعة ووضوح المذهب واستنارة السبيل ، كأنه محدث بارع يخلب لب سامعيه ويجتذب انتباههم ، ويملك إعجابهم ؛ على أن فيه هنات قليلة ، تنقص من جماله الفنى ، ولكن لا تنقص من قيمته التاريخية ، ولولا أن حضرات المؤلفين أساتذة فى اللغة العربية لأغفلنا الإشارة إليها

والكتاب فى الحقيقة تاريخ شامل لنهضة مصر وانتعاشها وتقدمها علمياً وسياسياً واجتماعياً وإنسانياً فى الفترة التى اقترنت بحياة المترجم له ؛ وقد كان جديراً به أن يسمى (مصر فى صدر القرن العشرين) لولا ما كان لذلك الملك العالم ، والسياسى المحنك ، والمصلح العظيم ، من عميق الأثر وحسن التوجيه فى

كل نواحى التقدم المصرى .

وقد قامت على إخراجه مطبعة مصر على ورق صقيل فى خمسين وأربعمائة صفحة من القطع المتوسط ، بحروف دقيقة واضحة جميلة ، حلى بالصور فى كثير من صفحاته ؛ فجاء غاية فى الدقة وآية فى الإتقان ، وخير برهان على ما امتازت به مطبعة مصر من جودة العمل وإحكامه

وهو مقسم ستة أقسام كبيرة :

١ — الأسرة المحمدية العلوية فى نحو ستين صفحة ، وهذا القسم يتجلى بأشهر صفات المليك ، وطريقته فى تربية ولى عهده الفاروق و . . .

٢ — القسم العلمى فى أكثر من تسعين صفحة ، وهو يزدان بعوامل الثقافة لدى المليك ، وبيان الجماعات العلمية التى عنى بها وانتعشت تحت ظل رعايته أميراً وملكاً ، والنهضة العامة فى وزارة المعارف والجامعة المصرية

٣ — القسم السياسى فى ثلاثين ومائة صفحة وهو يسجل حالة مصر قبيل الحماية وفى أثنائها ، ويجلو حوادث الثورة المصرية ، وإعلان الاستقلال ، ووضع الدستور ، وفيه عرض لأعمال الوزارات المتتابعة فى هذه الفترة التى انتهت بالمعاهدة ، وفيه موازنة بينها وبين معاهدة الحديبية ، ومعاهدتى العراق وسورية

٤ — القسم الدينى فى نحو خمسين صفحة ويتجلى فيه مبلغ احترام المليك للدين ، ورعايته للأزهر الشريف ، وعطفه على مسلمى العالم الخارجى ، وسخائه على الجماعات الخيرية ... الخ

٥ — قسم الرحلات الملكية فى أربعين صفحة ، وفيه سجل جامع لجميع الرحلات الملكية وأثرها العظيم فى مصر وأوربة ، وبيان لتنافس الشعب فى إرضاء المليك بالأعمال النافعة لأبناء الوطن

٦ — العصر الذهبى فى ستين صفحة وهو جامع لألوان الرقى المصرية من زراعية وتجارية وصناعية ، وصحية ورياضية ، وصحافية ... الخ

وهو مذيل ببيان للمراجع العربية والإفرنجية يشمل صفحتين كاملتين — وهذا يدل على مقدار عناية المؤلفين بهذا الكتاب حتى جاء مرجعاً نافعاً للباحثين من مؤرخ ومحقق وأديب وسياسي واجتماعي ، وفيه خير معوان للزعيم المصلح ، إذ يريد أن يستوحي الماضي حتى يأمن العثار ، ويتوقى مواطن الزلل ، ويتوخى سبيل الحكمة والرفق ، فيصل بالشعب إلى مواطن العزة والسعادة

فإلى حضرات المؤلفين نقدم أطيب الثناء على مجهودهم الموفق ، وجزيل الشكر على هديتهم الجميلة النافعة ، وإلى الله تعالى نرفع أكف الرجاء وخالص الدعاء أن يجعل لكتابهم أوفر قسط في تربية الجيل الناشيء والأجيال المقبلة ، وحفز هممهم إلى بلوغ مراتب العظمة ومنازل الكمال

المتولي قاسم